ماذا عن الرساميل الاجنبية المتدفقة على مصر وَدورها الحقيقي في سياسة الارتداد الوطني والطبقي ؟

بقلم : عدنان بدر

فيما يحث النظام المصري خطاه على طريق « فك الارتباط » الشامل بجميع القضايا الوطنية والتقدمية ، داخليا ودوليا ، وهو المضمون الحقيقي للتسوية المطروحة .. في هذه الاثناء يجري الترويج الكثيف لما تدره وسوف تدره هذه السياسة على مصر وغيرها من الانظمة المستسلمة من القروض والرساميل العربية والاجنبية . ويجري سن التشريعات الخاصة بحماية تلك الرساميل من اي تاميم او مصادرة .. واعطاؤها كامل التطمينات حول دخولها وخروجها ومجالات عملها وارباحها .. كما تتسع هذه التطمينات الى خارج دائرة التشريع ، لتصبح سياسة عامة للدولة معادية للتاميم والاشتراكية والقطاع العام ..

وهذه الحالة ، تعيدنا الى فكرة صغيرة ، كان طيب الذكر محمد حسنين هيكل قد اطلقها قبل اعوام حين قال « ان لاحد مصادر الدخل الاساسية لمصر هو سياستها الخارجية » !! فجاء الان النظام الحالي ليطور تلك الفكرة ويجعلها الاساس الستراتيجي لكل سياسته الداخلية والعربية والدولية .

فما هو المنطلق الاساسي لهذه السياسة ؟ .. وما هي النتائج التي سوف تترتب عليها ؟

اولا : لقد كان لنمو الشرائح العليا من البرجوازية الصغيرة — ثم البيروقراطية — واستغلالها للسلطة كطريق الى الاثراء الفردي ، دور اساسي في صنع هذا التحول .. فبعد ان استفحلت هذه الشرائح مواقعها في الدولة وفي القطاع العام نفسه ، واشرأبها البيروقراطي على تنفيذ القوانين والقرارات التقدمية التي صدرت خلال المرحلة السابقة ، تراكم لدى هذه الشرائح ، شيء من رأس المال ، فدا بلغ عليها للخروج على تلك القوانين والقرارات من اجل اطلاق حرية ذلك الراسمال في مجال الاستثمار الفردي « الحر » ...

وهنا انقلبت مصالح هذه الشرائح ، من اصدار تلك القوانين التقدمية والاستفادة منها ، ومن الاشراف على تنفيذها ، الى التصادم مع تلك القوانين وبالتالي الانقلاب عليها .. وهنا يكمن الجوهر الاقتصادي والطبقي الداخلي لما نجلي فيما فيما بعد من سياسة الردة ، داخليا ..

اثناء هذه العملية ، عملية استثمار تلك الشرائح البيروقراطية بالسلطة ، ثم الانحراف بها عن طريق تطورها ، واعادة التصالح مع البرجوازية والاقطاع التقليدين .. كان الصراع الوطني الممثل بشكل حاد ومباشر في الصراع العربي — الاسرائيلي ، يتفاقم الى درجة ، صار حسمه بشكل جذري يتطلب سياسة ديمقراطية تقضية على الصعيد الداخلي تستهدف تعبئة كل الطاقات الوطنية .. الامر الذي يتناقض بشكل حاد مع تطور مصالح تلك الشرائح البيروقراطية ...

وبرغب حرب تشرين — بالاضافة الى قدرة العرب على القتال وقابلية الحدو للهزيمة — ان هذه القدرة محكومة بشرط اطلاق الطاقات الوطنية ، عبر اطلاق المبادرات الديمقراطية الجماهير واعطاء الصراع بداه الكامل .. وهذا الشرط ايضا يتناقض جذريا مع تطور مصالح تلك الشرائح ..

وشعور هذه الشرائح بخطورة هذا الشرط ، شكل الجوهر الثاني لسياسة الارتداد على الصعد الوطني .

ثانيا : كانت الامبريالية الامريكية في سياق استراتيجيتها ذات الاهداف المحددة في هذه المنطقة ، والتي تتلخص في السيطرة المطلقة على ما فيها من مصالح استراتيجية ، وحماية تلك المصالح وضمان امنها الى اقصى مدى ممكن نرى دائما ان ذلك لا يتحقق بدون التخلص من خطرين هما حركة التحرر الوطني العربية من جهة ، وعلاقة هذه الحركة بالمعسكر الاشتراكي ومجمل قوى الثورة العالمة من جهة اخرى ..

كانت هذه الامبريالية ، تراقب نمو هذه الشرائح البيروقراطية في الانظمة الوطنية ، وتتدخل قدر الامكان في انماع ذلك النمو .. وتخطط بقصى ما يمكن من الدقة ، لخلق الفرصة الاكثر ملاءمة لاستثمار المرحلة التي يحتدم فيها التناقض بين مصالح تلك الشرائح وبين مصالح الطبقات الثورية والوطنية في المجتمع العربي .. اي فرصة تخرج استعداد تلك الشرائح للارتداد على الخط الوطني الذي نمت ضمنه .

وكان عدوان حزيران ونتائجه العسكرية ، هو الحالة الاكثر ملائمة للامبريالية الامريكية ، من اجل الضغط على تلك الانظمة العربية بشكل خاص ، عملية استثمار تلك الشرائح بالسلطة ومن ثم اقتناص ذلك لاسطياد سلطة تلك الشرائح واستحرارها الى مواقع خدمة الستراتيجية الامبريالية في المنطقة عبر طرح حل « ما » لمسالة الصراع العربي — الاسرائيلي يخلص تلك الانظمة من نتائج عدوان حزيران ، مقابل استجرارها الى دائرة مخطط ونفوذ الامبريالية في المنطقة .. اي الى دائرة تنمذ سياسة العداء للنضال الوطني التقدمي والثوري العربي ، ولعلاقة ذلك النضال بالمعسكر الاشتراكي وقوى الثورة العالمية .

لعل ابرز اشارة رمزية الى ضمون هدف المساعي الامريكية الراهنة للتسوية ، قد جاءت في صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية لدى تعليقها على اجراء السادات الاخير الذي ينضمن عدم الاعتماد على الاتحاد السوفياتي كمصدر للتسليح .

تقول الصحيفة الامريكية « ان خروج مصر من نطاق السيطرة السوفياتية هو اكثر الدلائل المشجعة التي تعتبرها القاهرة والعواصم الغربية الاخرى ايضا ، كخطوة في طريق بلوغ تسوية مع اسرائيل » .

هذا الكلام يوضح الية المساعي الامريكية لتحقيق اغراضها في المنطقة ، هذه الالية التي ترتكز ، على اقتران اي خطوة على طريق الانسحاب الاسرائيلي ، بخطوات من قبل الانظمة على طريق فك الارتباط بالسياسة الوطنية داخليا وعربيا ودوليا ...

وهذا هو الجوهر الاساسي الثالث والخارجي لسياسة الارتداد ...

وخدمة لسياسة الارتداد هذه ، يجري الحديث عن القروض والرساميل التي تتدفق وسوف تتدفق على انظمة الاستسلام .

فما هي هذه الرساميل ؟ وما هي نتائج تدفقها ؟

ان اول هدف لهذه الرساميل ، انها اداة مشابهة للاحتلال في خدمة عملية الارتداد .. فهي كالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة عام ٦٧ ، تشكل اغراء امريكيا للشرائح (التي تحولت الى تحالف داخلي كابل بينها وبين الرجعية التقليدية) المتسلطة على تلك الانظمة من اجل

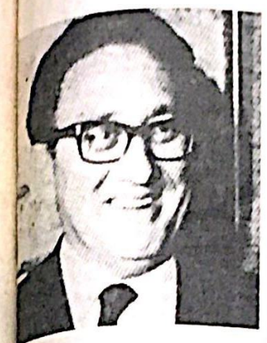

تحقيق سياسة داخلية معادية لمتطلبات التضامن الوطني ، ولمصالح الجماهير .

فالمضمونات التي تطلبها هذه الرساميل من اجل تدفقها على البلاد :

هي بالضبط التاكد من عداء السلطة لمصالح النضال الوطني والتقدمي العربي على الاصعدة الداخلية والعربية والدولية ..

هي بالضبط الارتداد على الاشتراكيين والتاميم واجهاض القطاع العام لمصلحة القطاع الخاص ...

هي الانفتاح على الرجعية العربية ومهادنتها والتحالف معها (تحت يافطة تشجيع الرساميل النفطية العربية) ضد الحركات الثورية المناهضة لتلك الرجعية ...

هي منح الامتيازات للبنوك والشركات الاحتكارية الامبريالية ..

هي فك العلاقات مع المعسكر الاشتراكي .

وهي بالاضافة لذلك قوانين وتشريعات لحماية هذه السياسات الارتدادية كلها .

هذا عن الهدف السياسي الاول لهذه القروض والرساميل . اما عن طبيعة هذه الرساميل ، فيلاحظ من تحصصها كلها — كل الرساميل التي وصلت والتي صدر وعد بوصولها — انها تتجه نحو قطاع التجارة الخارجية والداخلية والخدمات المصرفية والسياحة ، وانها تتجنب بشكل كلي القطاعات الانتاجية الصناعية والزراعية .

مثل هذه الرساميل ، في مثل هذه القطاعات غير الانتاجية سيؤدي الى خلق بحبوحة نسبية للفئات التالية :

١ — القوى المرتبطة بالتجارة الخارجية ... وتشمل التجار والمستوردين والوكلاء ، ومراكز القوى البيروقراطية ذات الصلة بهذه التجارة .

٢ — بعض الوسطاء المحليين في نطاق العمل المصرفي (الدلالة والرهن والعقارات داخل المدن) ..

٣ — اصحاب الفنادق والمطاعم والخدمات السياحية ، وما يتبعها من خدمات مدنية . وايضا مراكز القوى البيروقراطية ذات الصلة بهذه المجالات .

الان .. هذه البحبوحة النسبة ستصيب مباشرة الشرائح العليا من بيروقراطية النظام ، والبرجوازية المدنية والملاكين العقاريين .. ولكن بمقابل ذلك سوف تؤدي الى غلاء معيشة ينعكس على الطبقات الشعبية ، بشكل يهدد معه حتى مستوى معيشتها الحالي المتخفض بشكل عجيب ...

ولتوضيح ذلك .. يجب النظر الى التجربة اللبنانية في هذا النطاق حيث تدفق على لبنان خلال المرحلة الماضية رساميل من هذه الطبيعة غير الانتاجية بلغت ارقاما خيالية .. ومع ذلك فان الطبقات الكادحة اللبنانية — ولبنان كله لا يزيد عن الثلاثة ملايين نسمة — قد تدهور مستوى معيشتها ، وهي الان تخوض نضالات قاسية من اجل مواجهة الغلاء الذي اصاب حتى رغيف الخبز .

فكيف ستكون نتائج مثل هذا التدفق في مصر حيث يصل عدد السكان قريبا الى الاربعين مليون نسمة !!

ان خطر غلاء المعيشة الذي تجلبه معها هذه الرساميل ذات الطبيعة غير الانتاجية ، يكشف بجلاء مدى اناتية البرجوازية الجديدة في مصر التي تضحي بالسياسة الوطنية والتعبئة على الصعيدين القومي والطبقي ، وتضحي حتى بلقمة الطبقات الكادحة من اجل الحصول على بعض الفتات الذي تقطعها اياه عملية الاستيلاء السياسي والاقتصادي التي ترتبها الامبريالية الامريكية للمنطقة .

وهذه الحقيقة التي ستصرخ بها الوقائع .. ويعبر عنها احتدام الصراع الطبقي داخل مصر بشكل ليس له مثيل سابقا ، هي عكس كل ما ترجوه السلطة المصرية الحالية واجهزة اعلامها ، حول مرحلة البحبوحة والاعمار ..

انها بحبوحة البرجوازية الجديدة وحلفائها من الرجعية القديمة .. بينما هي كارثة حقيقية تنتظر ملايين العمال والفلاحين وحتى البرجوازيين الصغار من شعب مصر ..

الجالية العربية في البرازيل تطالب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية برفض الحلول الاستسلامية ومؤتمر جنيف الخياني

الرفاق اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطيني تحية النضال وبعد ...

بروح بعيده عن الخطابة الفارغة والتحريفات المضللة ناقشت مجموعة كبيرة من المغتربين العرب في سانتا كاترينا والريو غراندي دوسول بالبرازيل ناقشت مشاريع التسوية المطروحة على شعبنا ونفذت بتحليلاتها من خلال القشور البراقة الى صلب هذه المشاريع وجوهرها .... هذه ومساهمة منا في تعميق الخلاف الديمقراطي القائم في الساحة الفلسطينية نطرح تصوراتنا التالية :

١ — اننا نرفض المشروع الامريكي المصري للتفاوض بدءا على القاعات التالية :

ا — ان المشروع يستهدف تصفية القضية الفلسطينية كقضية شعب يناضل من اجل حقوقه الوطنية المشروعة وعلى رأسها حقه في تقرير مصيره وفي اقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني .

ب — ان المشروع يجهض كل امكانيات النضال الفعال للضغط على الصهيونية والامبريالية من اجل استرداد شعبنا لحقوقه التاريخية وعلى هذا فان مواقف طرف فلسطيني على هذا المشروع يلحق بالضرورة العمالة القائلة ضد العدو الصهيوني المستوطن في ارضنا — نظرا للارتباطات والموانق وشروط الانسحاب التي يستلزم بها الموقعون —.

ج — ان المكسب الصغير والاني الذي يتراى كالسراب لبعض فصائل حركة المقاومة هو الطعم الذي وضعته المخابرات الامريكة ذكاء لسهل اصطيادنا ولا نعتد ان ضغط الجوع الى ارض وسلطة سيسمنا طعمه هذه الارض وهذه السلطة والتين الباهظ الذي سندفعه من اجلها .

د — ان ميزان القوى الحالي — عالميا وعربيا وفلسطينيا — هو في غير صالح القوى الثورية ولهذا فهو لن يعزز حلولا ثورية تخدم القضية على المستوى القريب او البعد .

هـ — ان الكفاح المسلح هو ظاهرة اقدم من عدوان سنة ٦٧ وقد جاء نتيجة لعدوان سنة ٤٨ وردا عليه وبهذا عين غير المبرر اطلاقا عدل الكل بالجزء كتسوية سياسية في المنطقة .

و — ان القبول بهذا المشروع هو انحراف صارخ عن مقررات المؤتمر الوطني الفلسطيني الحادي عشر والتي واعت عليها كل التنظيمات دون جبر تكتيكي او استراتيجي .

٢ — نحدد التزامنا الكامل بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد لشعبنا العربي الفلسطيني ونعاهد الثوار ان نسير الى اخر المشوار .

٣ — ان الرفض المجرد للمشروع الامريكي ليس الموقف الثوري المطلوب .. اننا نلح على الرفاق في المنطقة ان يرسموا الخطط الكفيلة بعميق الوحده الوطنيه الثوريه بين فلسطينا وترسيخ التحالفات مع القوى الثوريه العربية الرافضة للاستسلام من اجل بناء جبهة مقاتلة تعود الى الهاب المنطقه من جديد من اجل خلق ظروف موضوعية جديده تطرح القضيه واسلوب حلها من منظار جديد .

الجالية العربية في البرازيل

فصائل الثورة العربية تحيي صمود ثوار ظفار وتدعو الى ادانة التدخل الايراني المسلح ضد العراق وثورة عمان

اصدر عدد من حركات التحرر الوطني العربية بيانا حول الاعتداءات الايرانية ضد العراق ، والتدخل العسكري الايراني في عمان ، ادان فيه التحركات الامبريالية التي شهدتها المنطقة بعد وقف اطلاق النار على الجبهات العربية المواجهة لاسرائيل، لتنفيذ المخططات الامريكية والرجعية الهادفة الى اعداد النظام الرجعي الايراني للعب دور الدركي المسلح في خدمة الامبريالية الامريكية .

واشار البيان الى ان الامبريالية الامريكية قد حولت ايران الى ترسانة اسلحة حيث زودت ايران باسلحة متطورة لم يحصل عليها حتى حلفاء امريكا الغربيون . وان الاف الملايين من الدولارات التي تصرف لتضخيم الة القمع الايرانية انماتستهدف بالاساس تثبيت موقع هذا النظام وتهيئته للعب دور الطرف الاخر من الكماشة التي تهدف الامبريالية الى اطباقها على شعوب المنطقة وحركات التحرر فيها .

وكما صرح سيسكو بان « ايران هي الدولة التي تثق بقدرتها على حماية الامن والاستقرار في منطقة الخليج » فان الانسحاب البريطاني الجزئي من الخليج وحلول الولايات المتحدة محل بريطانيا عسكريا وسياسيا واقتصاديا انما جاء لاعطاء ايران الدور الاساسي في خدمة مصالح الامبريالية ، وهذا ما يتوافق تماما مع تركيبة هذا النظام الاوتوقراطي الدكتاتوري القائم على اضطهاد الشعوب الايرانية وحماية الاحتكارات الاجنبية وتغذية روح التوسع والنزعة العسكرية وتاجيج الروح الشوفينية لالهاء الشعوب الايرانية عن واقعها المزري .

وقد كشف النظام الايراني اكثر من مرة عن نواياه التوسعية وعن دوره في حماية المصالح الامبريلية داخل ايران وخارجها ، ففي تصريح للشاه يقول « علينا ضمان الامن والاستقرار في الخليج بتعاون الاخرين او بدونهم » وهكذا فان دور النظام العميل يمتد ويتجاوز حدود ايران الى منطقة الخليج باكملها ، حيث نرجم هذا الدور باستخدام القوات المسلحة الايرانية لحماية المصالح الامبريالية وقمع الحركة الوطنة خارج ايران ، سواء في اليمن الشمالي او ارتيريا واثيوبيا ، وباقي البلدان في منطقة الخليج .

ويفسر البيان مغزى التدخل الايراني في عمان والتحرشات العسكرية على الحدود المراقبة بانها نتيجة لتوقف القتال على الجبهات العربية ، ونجاح اميركا في اختراق وحدة الصف العربي المعادي لها ، وتزايد نفوذها بحيث اصبحت المدخل للتسوية والضامن لها ، مما مهد الطريق امام تسويات جزئية ، وهكذا بقيت سوريا والمقاومة في مواجهة الاخطبوط الامبريالي الصهيوني وظهرت الحاجة الى عزلها وتطويقها . ويقف العراق عقبة في وجه تنفذ المخطط الامبركي الصهيوني ، وهكذا فان الامبريالية تسعى الى فك التلاحم العراقي السوري باشغال العراق على حدوده الشرقية . وكانت ايران هي المهيئة للعب هذا الدور ، اضافة الى ما يقدمه العراق لشعوب المنطقة في نطاق تجربته النفطية وعلى صعيد الجبهة الوطنية .

واشار البيان الى ان الغزو العسكري الايراني لاقليم ظفار لا يهدف الى القضاء على الثورة المسلحة كما يقول الشاه ، بل الى احتلال عملي لعمان ضمن سياسة التوسع الايراني وتحويل عمان الى قاعدة انطلاق لشن الاعتداءات ضد اليمن الديمقراطية وتوسيع دائرة نشاط الرجعية الايرانية العسكري وهيمنتها السياسية ، حيث ان الاسطول البحري والقوات الايرانية المحمولة تعد للعمل في اي منطقة بالجزيرة العربية والعراق والبلدان المطلة على البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وهذا ما جاء في تصريح للشاه « بان خط دفاعنا يمتد في العمق الاستراتيجي الى المحيط الهندي » .

وفي ختام البيان اكد الموقعون على دعوة القوى والحكومات الوطنية في المنطقة الى توحيد صفوفها في مواجهة هذه الاعتداءات واستنهاض طاقات الجماهير في مواجهة العدوان الامبريالي الرجعي ، وكذلك دعوة كافة القوى والحكومات العربية والبلدان الاشتراكية وكل الشعوب والقوى المحبة للسلام ، لدعم صمود العراق ومقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي وشجب السياسة العدوانية للرجعية الايرانية .

وقد وقع هذا البيان كل من حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الحزب الشيوعي السوداني جبهة تحرير ارتيريا (القوات الشعبية) ، جبهة التحرير الوطني الاثيوبي ، جبهة تحرير ارتيريا (المجلس الثوري) ، الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ، منظمة المقاومين الثوريين اليمنيين .

نداء الى الشعب المصري الشقيق

وجهت الجالية العربية في اوروبا نداءا الى الشعب المصري البطل بان يقف في وجه النظام المصري الذي يخون ارادة القتال التي تجلت بشرف حين اقتحم ابطال الشعب المصري حصون العدو في سيناء :

يا شعب مصر البطل ، ان العمال والطلبة العرب المعتصمين في مقر جامعة الدول العربية في باريس واخوتهم المعتصمين في مقر الجامعة بتلدن اذ يحتفظون مع الشعب العربي كله بذكرى معركة الكرامة الخالدة ليتكرون بفخر واعتزاز بطولات ابناء مصر العربية ودم شهدائها الذي الذي قدمته بسخاء في سبيل معركة العرب القومية وفي سبيل تحرير تراب مصر من الاغتصاب الصهيوني . لقد قدمت مصر خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ورمضان الاخيرة عشرات الالاف من الشهداء الابرار وستظل الجماهير العربية تذكرهم كرمز لارتباط مصر الابدي بالمصير العربي الواحد .

واليوم اذ تحاول الانظمة المتخاذلة ان تتخلى عن قضية شعب فلسطين الصامد محاولة ارغامه على التخلي عن تحرير ارض فلسطين المغتصبة من عدو امتنا العربية جمعاء ، نتوجه اليك يا شعب مصر العظيم باسم الجالية العربية في اوروبا مجددين لك ثقتنا بك وفي عطائك وامثا بان تهب يدا واحدة لردع المتخاذلين والمتامرين على ابواب واشنطن وتل ابيب وجنيف .

وليكن شعار العرب الشرفاء جميعا لاصلح .. ولا اعتراف .. ولا تفاوض مع العدو القومي الصهيوني .

طلبة وعمال فلسطينيون ومغاربة ومصريون ولبنانيون وتونسيون وسوريون وعراقيون معتصمون في مراكز الجامعة العربية في لندن وباريس ..